ألف حكاية وحكاية (١٠)

انفجار فى معمل

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

جحا والعمدة المريض

مرضَ عمدةُ القريةِ التى يعيشُ فيها جحا، وكانَ رجلاً ظالمًا قاسيًا واستدعى عددًا كبيرًا من الأطباءِ، وتناولَ كثيرًا من الأدويةِ. ورغمَ هذا، فقد اشتدَّ عليه المرضُ، واتضحَ أن العلاجَ لم يعُدْ ينفعُهُ.

عندئذٍ فكَّرَ أحدُهم فى استدعاءِ جحا، فقد سبقَ أن أنقذَتْ نصائحُه عددًا كبيرًا من المرضى.

وصلَ جحا، وعندما شاهدَ العمدةَ مستلقيًا على فراشِهِ، التفتَ إلى المحيطينَ به، وقالَ فى صوتٍ يعبِّرُ عن الضيقِ الشديدِ:

"الأطباءُ يمكنُ أن يساعدوا الأحياءَ فقط على الشفاءِ، وأنتم تطلبونَ منِّى مساعدةَ رجلٍ ميتٍ!"

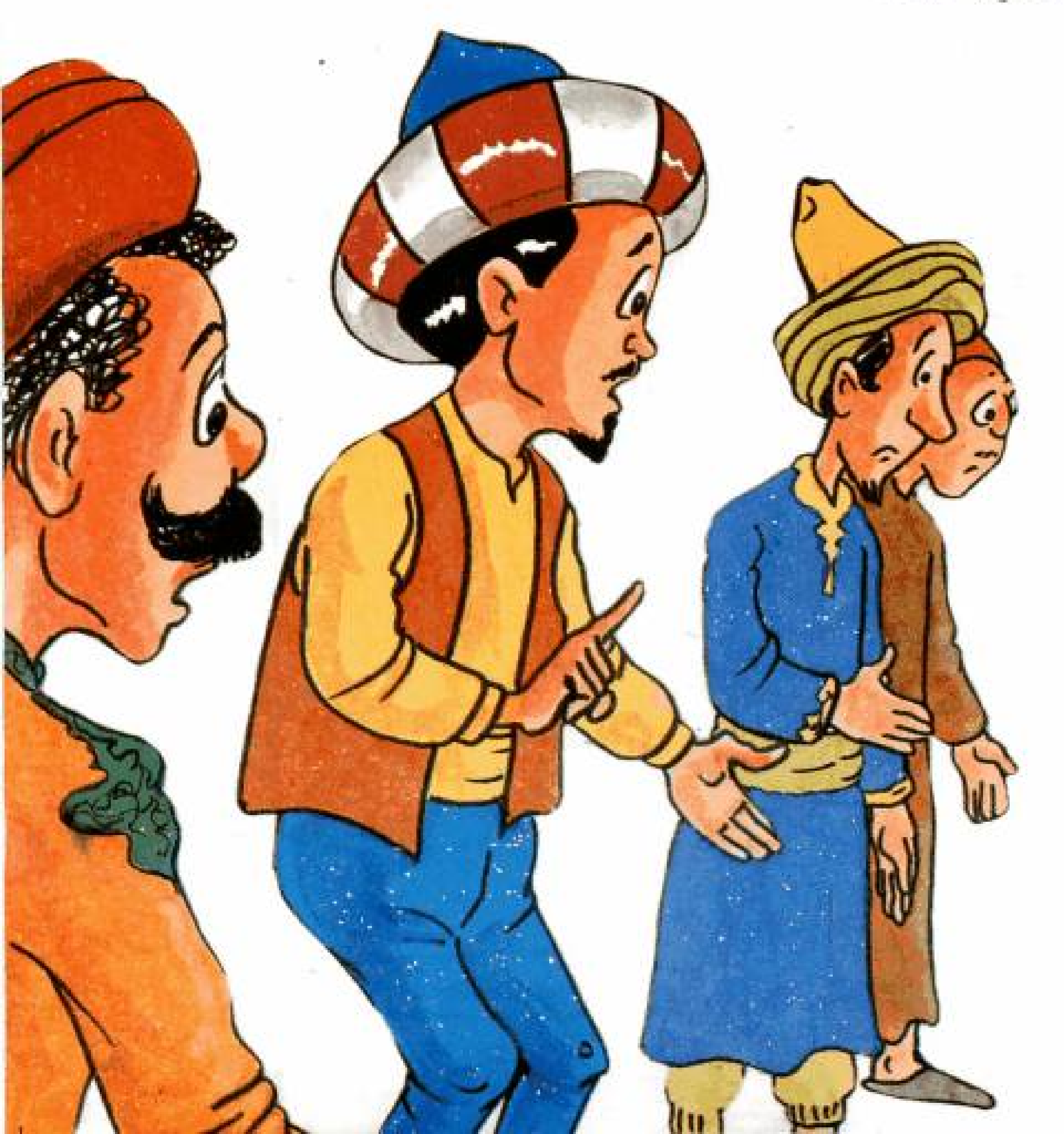


وفي انزعاجٍ صاحَ أفرادُ الأسرةِ:

"ولكنْ .. ألا ترى أن العمدةَ لا يزالُ حيًّا ؟!"

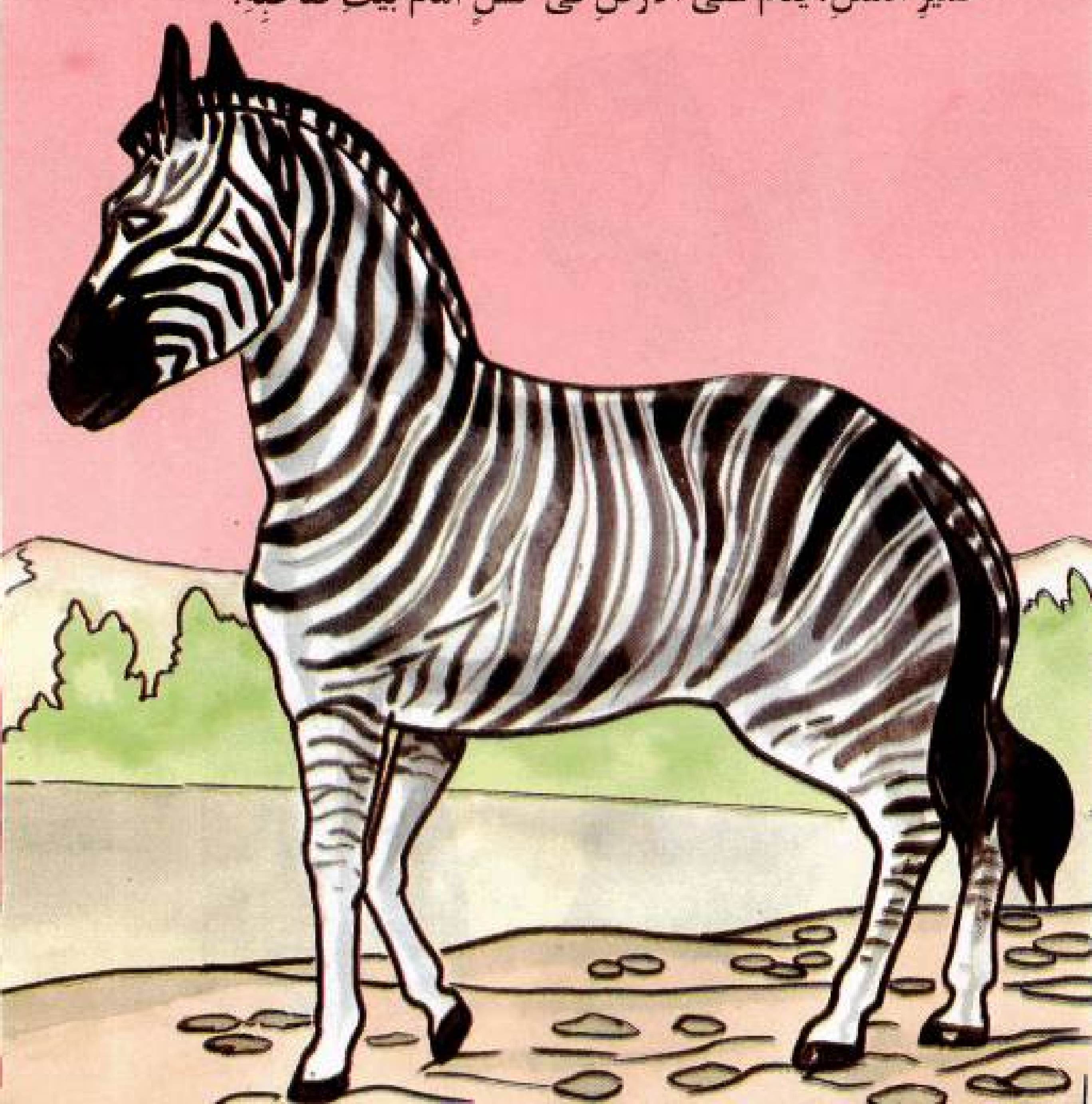
قالَ جحا:

"هذا صحيحٌ .. عندَ النظرةِ الأولى لا يبدو أنه ميتٌ، لكنَّ كلَّ الناسِ يقولونَ إنه رجلٌ لا قلبَ لَهُ، فهل تستطيعونَ أن تخبروني كيفَ يكون حيًّا ؟"



الحمار الوحشى وحمار العمل

ذاتَ صيفٍ شديدِ الحرارةِ، جفَّتِ الحشائشُ فى الغابةِ. ولم يجدْ حمارُ الزرد الوحشى طعامًا يأكلُهُ، فانطلقَ فى سبيلِهِ حتَّى وصلَ إلى قريةٍ صغيرةٍ، ودخلَ أولَ طريقٍ صادفَهُ فيها، فوجدَ أمامَهُ حمارًا من حميرِ العملِ، ينامُ على الأرضِ فى كسلٍ أمامَ بيتِ صاحبِهِ.

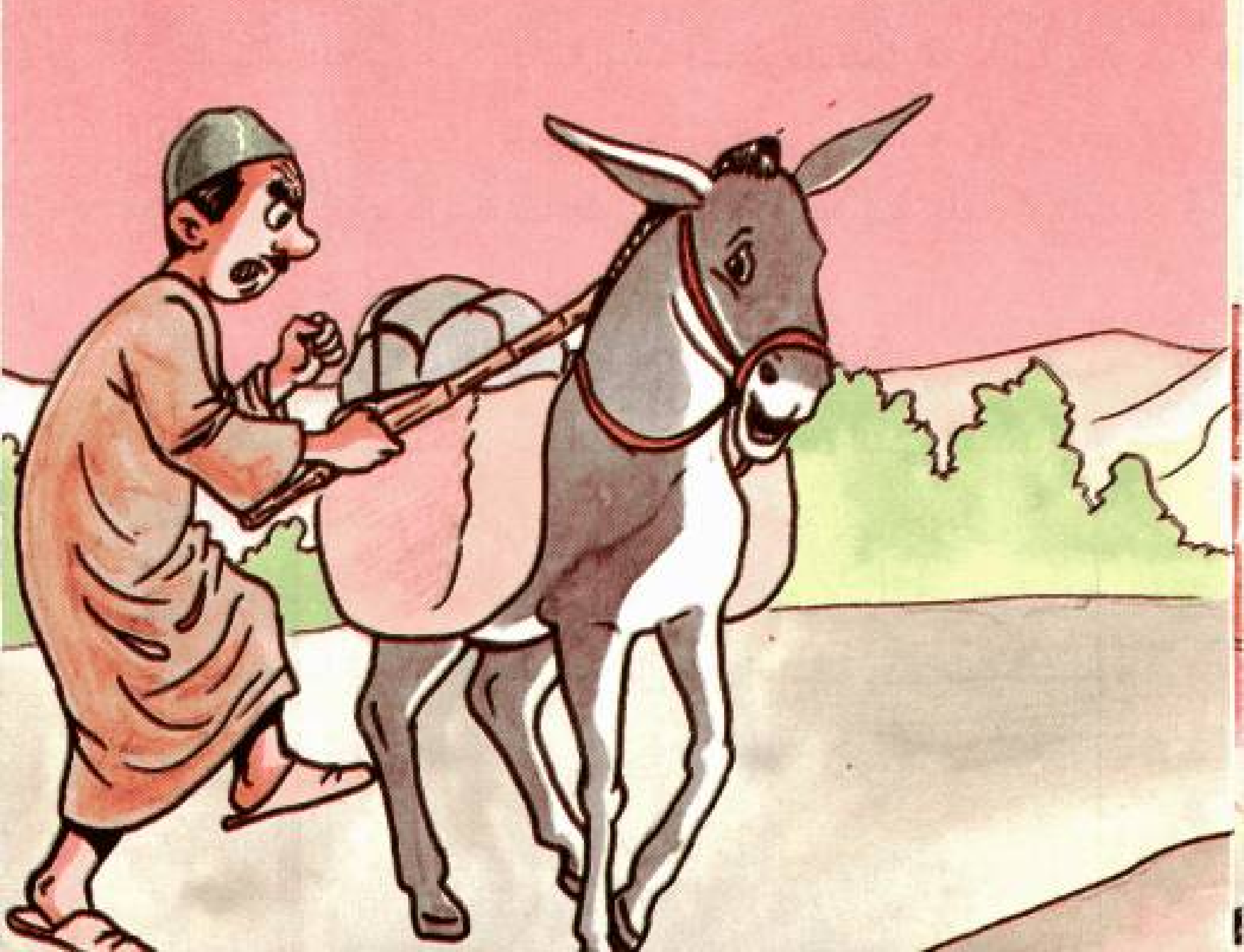


اقتربَ الحمارُ الوحشيُّ من حمارِ العملِ، وقالَ لهُ:

"تبدو عليك السعادةُ أيُّها الحيوانُ، فأنت تنامُ ولا تحملُ همًّا للطعامِ، ولا تخافُ حيواناتِ الغابةِ المتوحشةَ. إننى أحسدُكَ."

وبعدَ عدَّةِ أيامٍ، كانَ الحمارُ الوحشيُّ يتمشَّى قربَ نفسِ القريةِ، فشاهدَ حمارَ العملِ يحملُ فوقَ ظهرِهِ حملاً ثقيلاً، وصاحبُهُ يضربُهُ بعصا غليظةٍ ليسرعَ فى سيرِهِ. عندئذٍ قالَ الحمارُ الوحشيُّ لنفسِهِ:

"لا يا صديقى، لن أحسدَكَ بعدَ الآنَ، فإننى أراكَ تدفعُ ثمنًا غاليًا لِما ظننْتُ أنك تتمتَّعُ بهِ من مزايا !!"



المعونة الوحيدة

سافرَ صديقٌ لى بسيارَتِه فى يومٍ شديدِ الحَرِّ. وبينما هو فى الطَّريقِ، ثُقِبَتْ إحدى عجلاتِ السيَّارةِ، فتوقَّفَ ليُغيِّرَها، ويضعَ بدلاً منها عجلةً أخرى. وفى أثناءِ ذلك، مَرَّ به شيخٌ قرويٌّ على حمارِه، فوقفَ بالقربِ منه، وقالَ له بلطفٍ:

"هل أستطيعُ أنْ أُقدِّمَ لك معونةً ؟"

فرفعَ صديقى رأسَهُ إليه، والعرقُ يتصبَّبُ من جبينِهِ، وقالَ لَهُ:

"أشكرُكَ، لسْتُ أريدُ معونةَ أحدٍ !"

ثُمَّ عادَ فانحنى على العجلةِ ليربطَ مساميرَها. فلمَّا رفعَ رأسَهُ بعدَ أنْ فرغَ من عملِهِ، رأى الشيخَ لم يزَلْ واقفًا إلى جانبِه، وفى يدِهِ مظلَّةٌ يُظلِّلُ بها عليهِ ليحمِيَهُ من الشمسِ المحرقةِ. فلمّا التقَتْ أعينُهما، قالَ لهُ الشيخُ وعلى فمِهِ ابتسامةٌ لطيفةٌ:

"لقد خفتُ عليك يا بُنيَّ أنْ يؤذِيَكَ الحرُّ الشديدُ فى هذا اليومِ القائظِ، فوقفْتُ أظلِّلُكَ. إنَّها المعونةُ الوحيدةُ التى أستطيعُ أنْ أقدِّمَها لكَ فى هذا المكانِ، وإنْ لم تَكُنْ بحاجةٍ إلى معونتى !"

قالَ الشيخُ هذا، ثُمَّ وثبَ إلى ظهرِ حمارِه، وتركَ صديقى واقفًا إلى جانبِ سيارتِهِ، يكادُ يقتلُه الخجلُ من خشونةِ رَدِّهِ على الشيخِ، ومِنْ لُطفِ الشيخِ معَهُ !



ابن النسر

أصبحَتْ أنثى النسرِ عجوزًا يرهقُها الطيرانُ. وحاولَتْ يومًا أن تطيرَ، فارتفعَتْ في الجوِّ مدةً قصيرةً، وسرعانَ ما نزلَتْ على صخرةٍ فوقَ الجبلِ، وقالَتْ:

"لقدْ أحسسْتُ بالتعبِ .. يجبُ أن أستريحَ قليلاً."

ومضَتْ لحظاتٌ طويلةٌ، لكنها لم تشعرْ باستعادةِ نشاطِها.

وفي هذه الأثناءِ، كانَ ابنُها يطيرُ عاليًا، وشاهدَ أُمَّهُ، فنزلَ بجانبِها، ورفضَ أن يتركَها ويطيرَ. لكنَّها لم ترضَ عن هذا التصرُّفِ،



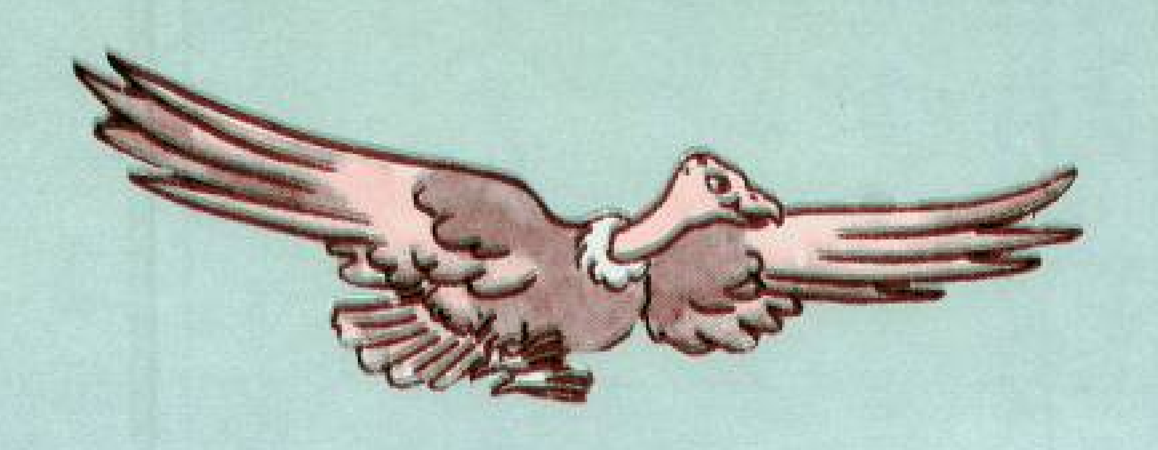
فقد أدركَتْ أن مصاحبةَ ابنِها لها ستعطِّلُه عن التدريبِ على الطيرانِ، فقالَتْ لهُ:

"ارجعْ ياعزيزى، وارتفعْ عاليًا نشيطًا فى السماءِ. وعندَما أرى قدرتَكَ وتفوُّقَكَ، سأستعيدُ سعادتى وأرتاحُ."

عندئذٍ اندفعَ النسرُ الفتى إلى الفضاءِ، يطيرُ فى حريةٍ وبسالةٍ. ونظرَتْ أمُّه إليه، فامتلأت سعادةً، ثمَّ وجدَتْ فى نفسِها قدرةً على الحركةِ، فطارَتْ خلفَ ولدِها، وبَقِيَتْ محلِّقةً دونَ أن يدركَها التعبُ.

سمعَ رجلٌ حكيمٌ هذهِ القصةَ، فقالَ:

"إذا أحسَّ مَنْ تقدَّمَت به السنُّ بالعجزِ، فأسهلُ سبيلٍ إلى استعادةِ قوتِه والتغلبِ على عجزِه، أن يراقبَ الشبابَ، ويشعرَ بحماسِهم، ويشاركَهم آمالَهم وطموحَهم."



الحمار والتمثال

يُحكَى أنه فى إحدى مدنِ الهندِ تمَّ وضعُ تمثالٍ مقدَّسٍ على ظهرِ حمارٍ، وأنهم اخترقوا بهِ الشارعَ الرئيسىَّ فى مدينةٍ كبيرةٍ.

وتجمَّعَ الناسُ من كلِّ القُرَى المجاورةِ ليشاهدوا الموكبَ، وهم يتدافعونَ ويتزاحمونَ، ليفوزوا بمكانٍ قريبٍ من الحمارِ، فيشاهدوا التمثالَ عن قربٍ.

وعندما كانَ الحمارُ يمرُّ بهم، كانوا ينحنونَ تحيَّةً للتمثال، وبعضُهم مدَّ يدَهُ ليلمِسَهُ:

وهكذا بدأ الحمارُ يحسُّ أنَّهُ حيوانٌ مهمٌّ جدًّا. قالَ لنفسِهِ:

"ما أروعَ كلَّ هذا الاحترامِ الذى يُظهرونَهُ لى ! لم أعرفْ قبلَ الآنَ مدى تأثيرى فى الناسِ. كم كنت متهاونًا فى حقِّ نفسى، عندما كنتُ أخضعُ فى كلِّ حياتى السابقةِ لأوامرِ صاحبى."

وهكذا قرَّرَ الحمارُ أن يستخدمَ سلطانَهُ، فقالَ لنفسِهِ:

"الحقيقةُ أنه لم تعُدْ بى رغبةٌ فى السيرِ أبعد من هذا .. سأتوقَّفُ هنا لأعطِيَ الناسَ فرصةً لإظهارِ إعجابِهم بى."

وهكذا رفضَ الحمارُ أن يتقدَّمَ خطوةً أخرى.

لكنَّ ضربةً مؤلمةً نزلتْ فى الحالِ على ظهرِهِ، بينما صاحَ صاحبُهُ غاضبًا:

"هيا ! سِرْ. ماذا تقصدُ بتعطيلِ الموكبِ بهذا الشكلِ ؟"

أجابَ الحمارُ غاضبًا:

"إننى أعطى هؤلاءِ الطيِّبينَ الفرصةَ ليتطلَّعوا إلى طَلْعتى !"

عندئذٍ ضحكَ سيدُهُ، وقالَ وهو يجذبُ الحمارَ من رباطِهِ:

"ياللكَ من حيوانٍ غبىٍّ أحمقَ! إن هؤلاء الناسَ لا يهتمُّونَ بكَ، بل حضروا ليشاهدوا التمثالَ الذى تحملُهُ على ظهرِكَ. هيا تقدَّمْ أمامى قبل أن أغضبَ عليكَ أكثرَ من هذا، فتحسَّ بطعمِ العصا مرةً ومراتٍ."



انفجار فى معمل

فـى فـترةٍ مـن حياتـهِ، عمـلَ عـالِمُ الكيميـاءِ الفرنسـىُّ الشـهيرُ "لافوازيه" مشرفًا على إنتاجِ البارود، الذى كانَ الجيشُ الفرنسىُّ فـى حاجةٍ إليهِ.

وذاتَ يومٍ، كانَ لافوازيه، الذى وُلِدَ سنة ١٧٤٣ وعاشَ حتى سنةِ ١٧٩٤، يقومُ بإحدى التجاربِ علـى مـادةٍ خطـرةٍ، لاختبـارِ مـدى صلاحيتِها لتُستخدَمَ فى المفرقعاتِ، وكانَتْ زوجتُهُ تساعدُهُ هى وثلاثةٌ من المَعاونينَ.

وفجأةً حـدثَ انفجارٌ فى المعمـلِ، تسبَّبَ فـى وفـاةِ اثنَيْنِ مـن المعاونينَ، ونجا لافوازيه وزوجتُهُ من الموتِ بمعجزةٍ.

لكنَّ هذا الحادثَ لم يؤثِّرْ فى حماسِ لافوازيه للعلـمِ والتجـاربِ، بلْ كتبَ إلى وزيـرِ الملـكِ، مؤكـدًا استعدادَهُ للتضحيـةِ والفداءِ من أجلِ بلدِهِ، فقال:



"إذا تكرَّمْتُم وعرضتُمْ خبرَ هذا الحادثِ المؤسفِ على الملكِ، وبيَّنْتُم الأخطارَ التى تعرَّضْتُ لها، فإننى أرجوكم أن تنتهزوا هذه المناسبةَ لكى تؤكِّدوا لجلالتِهِ أن حياتى فداءٌ لوطنى، وأننى سأظلُّ دائمًا على استعدادٍ للتضحيةِ بها فى سبيلِ المصلحةِ العامةِ، وسأواصلُ التجاربَ على المادةِ المفرقعةِ نفسِها، أو على أىِّ مادةٍ أخرى يكونُ جيشُ بلادى فى حاجةٍ إليها."



الفانية والباقية

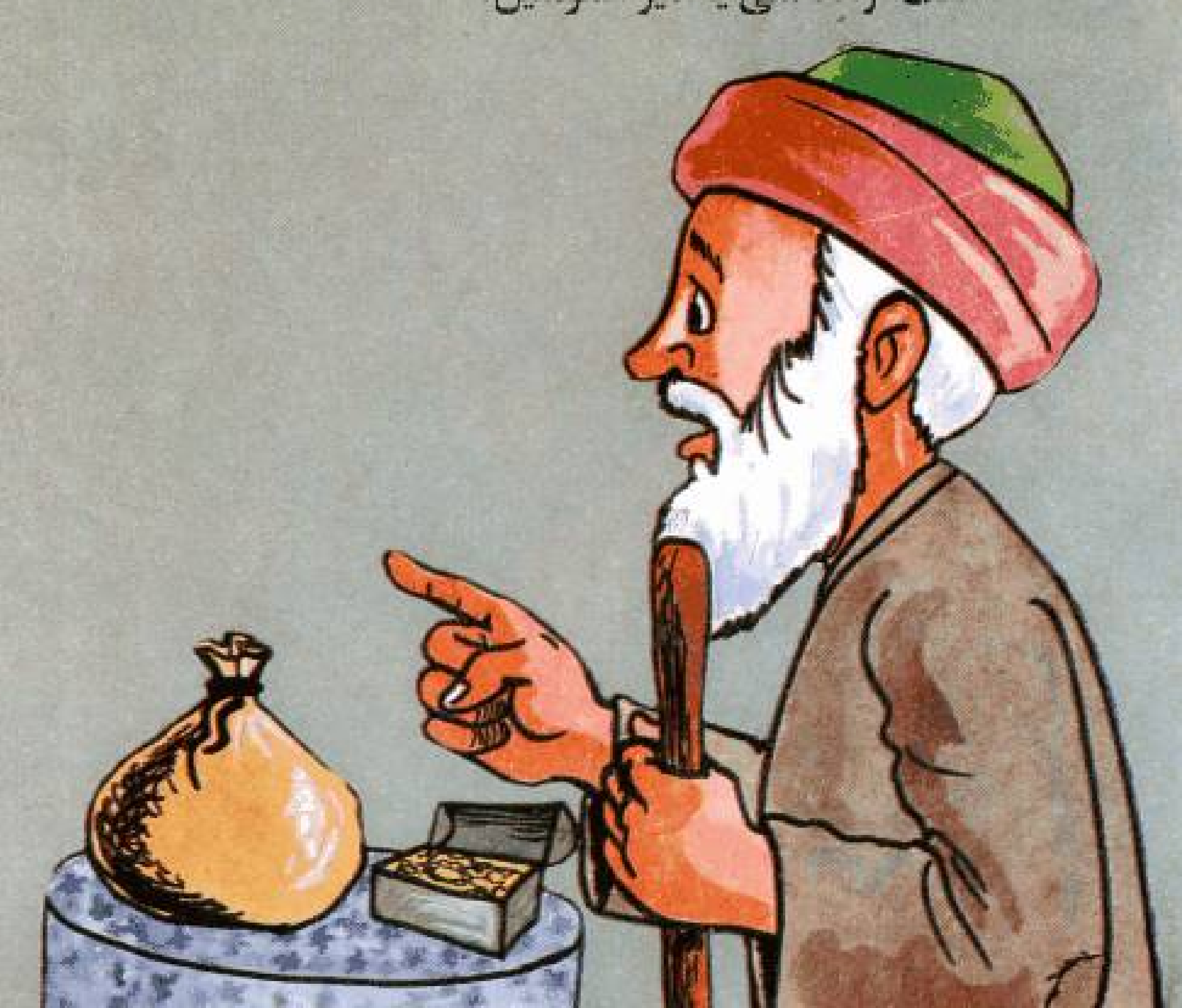
فى زمنِ هارون الرَّشيدِ، كان هناكَ لِصٌ قاطعُ طريقٍ اسمُهُ "أبو على الفضيل"، تابَ وأصبحَ صوفيًّا.

وقدِ استدعاهُ الرَّشيدُ، وقدَّمَ لهُ هديَّةً ثمينةً من الذَّهبِ والمالِ، فرفضَها، فقالَ لهُ الرَّشيدُ:

"يا أبا الفضيلِ .. ما أزهدَكَ الآنَ !"

أجابَ أبو الفضيلِ:

"أنتَ أزهدُ منِّى يا أميرَ المؤمنينَ."



فقالَ الرَّشيدُ:

"وكيفَ ذلكَ يا أبا الفضيلِ وأنتَ رجلٌ صوفِيٌّ ؟!"

فأجابَ أبو الفضيلِ:

"ذلكَ لأنِّى أزهدُ فى الدُّنيا، وأنتَ تزهدُ فى الآخرةِ .. والدُّنيا فانيةٌ، والآخرةُ باقيةٌ."



في متحف الشمع

زارَ الكاتِبُ الأمريكيُّ المشهورُ "مارك تويـن" متحفَ الشمعِ في لندن، ووقفَ فترةً طويلةً ساكنًا أمامَ تمثالٍ مُتْقَنٍ من الشمعِ يتأمَّلُهُ، وفجأةً انتبهَ على دفعةٍ مفاجئةٍ في جانبِهِ، فاستدارَ ليجدَ نفسَهُ وجهًا لوجهٍ أمامَ سيدةٍ إنجليزيةٍ صامتةٍ، وطرفُ مظلّتِها لا يزالُ في جنبِهِ. وفجأةً صاحَتِ السيدةُ قائلةً: "يا إلهي !! إنـه تمثـالٌ حـيٌّ !!" ثـم أسرعَتْ تجري مبتعدةً.



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبي ، والعربي القديم ، والعالمي.